ظاهرة الانسجام الصوتي في العربية
الإمالة والإتباع الحركي أنموذجاً

أ.م.د.عماد حميد أحمد أ.م.د.ميمونة عوني سليم
جامعة تكريت/كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمدّ لله الذي جعل من آياته اختلاف الألسنة والألوان، والصلاة والسلام على نبيه، خير مَنْ وُصِفَ بالحكمة والبيان.

أما بعد:

فإنّ علم اللغة العربية علمٌ واسع، ومتفرّع؛ يضم في طيّاته علم الأصوات اللغوي، الذي يُكْشَف بفضله عن كثير من صور الإعجاز القرآني وأسراره؛ فضلاً عن أنه العلم الذي جاء حاملاً لكثيرٍ من الظواهر اللغوية التي تبرز من خلالها خصائص العربية.

وقد أسهم علماء اللغة القدماء، والمحدثون؛ إسهاماً كبيراً في محاولة إبراز الكثير من هذه الظواهر في كتبٍ مؤلفة، وأبحاثٍ منشورة، إلا أنَّ هذا لا يعني أنَّ استقصاءهم لها جاء كاملاً وشاملاً، بل بقيت جملة من هذه الظواهر مازالت تحتاج إلى دراسةٍ، وتفصيل دقيقين، منها ظاهرة ((الانسجام الصوتي)) .

فقد عالج علماء اللغة كُلاًّ من الإمالة والإتباع الحركي بتجرّدٍ كامل، على أنهما ظاهرتان لغويتان إلاّ أننا حاولنا في هذا البحث الكشف عن أثر الانسجام الصوتي في كلتا الظاهرتين.

لقد بدأنا هذه الدراسة بالمبحث الأول الذي قدّمنا فيه طرحاً مجملاً للموضوع من حيث تحديد المصطلحات التي تَمُتُّ بصلةٍ إلى ما عنيناه من الانسجام الصوتي مع ذكر تعريفات اللغويين لهذه المصطلحات، والصلة الرابطة بينهما، وبين مصطلح الانسجام الصوتي.

أما المبحث الثاني فخُصص لدراسة (الإمالة)، وبيان أثر الانسجام الصوتي فيها.

وتناولنا في المبحث الثالث(الإتباع الحركي) في خطوة إلى بيان الغاية منه، ألا وهي الوصول إلى الانسجام الصوتي بغية تحقيق الخفّة على اللسان، وسهولة النطق بأصوات الكلمات.

ثم جاءت الخاتمة مفصحة عن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وأردفناها بقائمة المصادر التي استقى منها البحث مادته.

وأخيراً نقول: إنّ عملنا هذا إنما هو خطوة على الدرب، بذلنا فيها قصارى جهدنا، وهو جهد خالص لوجه الله تعالى الكريم، فإن أصبنا فهو توفيق من الله تعالى، وإن أخطأنا فهو من أنفسنا ومن كوننا بشر نُخطئ ونُصيب، وقد نُخطئ أكثر مما نُصيب، وآخر دعوانا أننا نسأل الله التوفيق والسداد والحمدّ لله ربّ العالمين.

- **المطلب الأول: نظرة في مصطلح الانسجام الصوتي وتطوره عند علماء اللغة:**

الانسجام لغةً: من((سَجَمت العين والدمع، والسحاية الماء تسجُمهُ سَجْماً وسُجومَاً... وهو قطران الدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيراً، ... وكذلك عينٌ سَجوم وسحابٌ سَجوم، وانسجَمَ الماءُ والدمع فهو منسجم...وسَجَمت السحابةُ مطرها... إذا صبَّتهُ))[١].

وانسجم الماء والدمع: انصبّ، والانسجام: الانصباب، وهو يعني أيضاً أن يأتي الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ[٢].

أما الانسجام الصوتي اصطلاحاً Vowel-Harmonyفهو ((ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة والمقاطع المتجاورة؛ نزوعاً إلى التوافق الحركي واقتصاداً في الجهد المبذول))[٣]، أو أنَّه ((جنوح أصوات المدّ المتجاورة في الكلام إلى الانسجام فيما بينها، حتى لا ينتقل اللسان من ضمٍ إلى كسرٍ إلى فتح، أو بالعكس في أثناء الأداء تسهيلاً))[٤].

والأصوات في تأثرها بما يجاورها تهدف إلى نوعٍ من االتقارب بينها؛ ليزداد قربها في الصفات والمخارج[٥]، فحين ((ينطق المرء بكلمةٍ أو مجموعةٍ من الكلمات نلحظ أنَّ أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في بعضها الآخر، وقد تلحظ أنّ اتصال الكلمات يخضع لهذا التأثر))[٦].

ويُعدّ الانسجام الصوتي أحد ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين هذه الحركات؛ لكي لا ينتقل اللسان من ضمٍ إلى كسر إلى فتح[٧].

وقد كان لعلمائنا عنايةٌ واهتمام بالانسجام الصوتي ؛لما له من أثر في جمالية الشكل والمضمون، فجهود الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ) معروفة عندما نقل إلينا أهمية الحروف الحلقية والذلقية في سياق جرس القول، فقد خلص إلى أن(العين) و(القاف) حينما تدخلان في النسيج التركيبي للأصوات يكونان أكثر الحروف حسناً؛ لكونهما أضخمهما جرساً[٨].

وقد لحظها المتقدمون، ففضلاً على الخليل نجد سيبويه(ت١٨٠هـ) يخصص في كتابه لهذه الظاهرة باباً، ويسمّيها المضارعة، أي: تقريب الأصوات المتجاورة[٩]، ويتفق ابن جني(ت٣٩٢هـ) مع سيبويه في رأيه حين قال إنَّه ((تقريب صوتٍ من صوت))[١٠]،، ثم عاد فسمّاه بـ((التجنيس))[١١].

ويرى أحمد علم الدين الجندي أنَّ ابن جني كان بارعاً في خلق هذا الاسم لظاهرة الانسجام، بل هو يرى أنّه أصحّ من غيره، فقد ضرب أمثلة ألمح فيها إلى هذا التقريب نحو(الحمدُللهُ) و(الحمدِللهِ)، وذلك بتغليب الحرف المتقدم على المتأخر أو العكس[١٢]، ثم عُدَّ تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق انسجاماً نحو شِعِير وبِعِير ورِغِيف[١٣]، وكذلك تقريب الحرف من الحرف نحو: مَصْدَر، مَزْدَر، وفي التصدير التَزْدير، وإضعاف الحركة لتقرب من السكون، نحو: حِيي، وأُحْيِيَ، وأُعيْيَ، وأما رَوْم الحركة فهي وإن كانت من هذا فإنما هي كالإهابة بالساكن نحو الحركة، وهو لذلك من المضارعة، ويختم ابن

جني كلامه بأنَّ جميع ما هذه حاله مما قرّب فيه الصوتُ من الصوتِ جارٍ مجرى الادغام؛ وإنما احتاط له بهذه السمة وهي الادغام الصغير؛ لأنّ في هذا إيذاناً بأنَّ التقريب شاملٌ للموضعين(١٤).

وأراد ابن جني بتجنيس الصوت أن يكون العمل فيه من وجهٍ واحد، وذلك بتقريب حرفٍ من حرف، فمذهبهم أنَّ للتجنيس تأثيراً قوياً(١٥).

أما ابن يعيش(ت٧٤٣هـ) فيرى أنَّ تجانس الصوت هو أن تنحو بالألف نحو الكسرة كما تشرب الصاد صوت الزاي، ويحدّها بأنّها((عدولٌ بالألف عن استوائه وجنوحٌ به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخّمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدّة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفَّتها))(١٦).

ويقول ابن الجزري(ت٨٣٣هـ) إنَّ القارئ إذا أحكم النطق بكل حرف وأوفاه حقّه، فيجب عليه إحكام حالة التركيب؛ لأن التركيب مختلفٌ عن الإفراد، وما ينشأ عنه الإفراد، فكم مَن يُحسن الحروف مفردة لا يُحسنها مركّبة حسب ما يجاورها ويجانسها ويُقاربها(١٧)، وهنا يعني ابن الجزري التجانس والتقارب بلفظيها الواسعين، ولا يختصره بالمجانسة فحسب.

ومن القائلين بالمجانسة هو السيوطي(ت٩١١هـ) الذي يرى أنَّ المجانسة تجعل المنقول منه يقلب إلى معتل آخر من جنس الحركة المنقولة ،وهذا أكثر قبولاً من قول بعضهم أنَّ الواو في(أَقْوَم) قُلِبَت ألفاً؛ لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها بعد النقل، فالقاعدة –برأيه– هو نقل الحركة من المعتل إلى الصحيح الذي قبله، وقلب المعتل إلى متجانسٍ للحركة المنقولة(١٨).

إنَّ البحث عن التناسب والانسجام الصوتي أدى إلى تفشّي ظاهرة صوتية كالإمالة في كثير من اللهجات–وسنأتي إليها لاحقاً–، فالغرض من الإمالة هو البعد عن الثقل في النطق، وهذا من باب الانسجام والتقارب، ويؤدى في الحالات والمواقف التي تعترضه(١٩).

ومن المعلوم أنَّ الانسجام يأتي من أبوابٍ عدّة، فهو يدخل في باب الإمالة، والمماثلة، والمماثلة الصوتية، والإدغام والإخفاء.

وكما كان للقدماء رأي في الانسجام، كذلك وجدنا المحدثين لهم رأي لا يختلف كثيراً عمَّن سبقهم، وإن اختلفت التسميات.

قال علم الدين الجندي ((إنَّ الانسجام من طبع البدوي؛ لأنه يميل بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود عند نطقه، فإذا نطق(بِهِيمة) بالكسر عمِل اللسان من وجهٍ واحد، وهو الكسر، بعكس(بَهِيمة)، فإنَّ فيها مشقّة؛ لأنَّ اللسان ينتقل من الفتح إلى الكسر))(٢٠)..

وعرَّف د.خليل إبراهيم العطية(رحمه الله) الانسجام الصوتي بقوله((إنَّها ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة، والمقاطع المتجاورة نزوعاً إلى التوافق الحركي واقتصاداً في الجهد المبذول))(٢١).

فلغتنا العربية من اللغات التي عرفت الانسجام الصوتي؛ نتيجة لاعتماد العربي على السمع وحده؛ لذلك لجأ إلى ربط الألفاظ في ما اتصل منها في كلامه ربطاً وثيقاً؛ أدّى إلى ظهور تلك الحركات التي

وصلت بين الكلمات، وسُمّيت فيما بعد بحركات الإعراب، فاللغة متى ما اقتصرت على السمع والإنشاد فلابدّ من العناية بالانسجام الصوتي؛ لأنه نوع من المماثلة الحركية، أو التقريب الصوتي؛ لذا كان من وكد الدرس الصوتي عند العرب دراسة الكثير من المباحث التي تدخل ضمن هذه الحالة كالاتباع الحركي، والإمالة، والإدغام، وغيرها(٢٢).

أما د.غانم قدوري فيرى أنَّ((المضارعة بين الأصوات لا تصل إلى درجة الإدغام الذي يقتضي تحول أحد الصوتين إلى مثل الصوت الآخر في مخرجه، وصفاته، ولكنها تُغيّر بعض صفات أحد الصوتين بما يقرّب بينهما بشكلٍ يخفف من عملية النطق لهما، ولذلك سمَّاها ابن جنّي بالإدغام الأصغر، وهي مماثلةٌ جزئية))(٢٣).

ولما كان الانسجام الصوتي هو ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة فيما بينها، وتميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين الحركات؛ لئلا ينتقل اللسان من ضمٍ إلى كسرٍ إلى فتح فيما توالى من الحركات(٢٤).

ويُسمّى هذا المصطلح في ضوء الدرس الصوتي الحديث بالتماثل أو المماثلةAssimilation، ودلالتها تأثر صوتٍ بصوت، صامتاًConsonant كان أو صائتاًVowel، وهو مظهر من مظاهر التخفيف والتسهيل في الكلام اتسمت به بعض القبائل العربية، وربما كان معظمها من ((قبائل شرق الجزيرة، تلك القبائل البدوية؛ لأنَّ البدوي بطبعه يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي عند النطق، أما القبائل المتحضرة المتمثّلة في قبائل غرب الجزيرة فقد حافظت على الأصل في النطق؛ لأنها تميل إلى التأني والهدوء في النطق))(٢٥)، والدليل على ذلك كسر هاء ضمير الغائب بعد ياءٍ أو كسرة، فقد قيل إنَّ الضم الأصل، والكسر جاء اتباعاً، والضم لغة الحجاز))(٢٦).

ويُسمّي د.عبد الغفار هلال هذه الحالة بتفاعل الاصوات، وهو أن يتأثر((الصوت اللغوي بما يجاوره قبله أو بعده من الحروف، وهذا يشمل ما يُسمّى بالمماثلة والمخالفة والتناوب بين الأصوات))(٢٧).

فحروف الهجاء منها ما يأتلف ومنها ما يختلف، ولكي نحقق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام وصولاً إلى الانسجام الصوتي، فتتمكّن أعضاء النطق من التفوّه به عند تجاور حرفين متنافرين يُغيّر أحدهما الآخر، وذلك باقترابه منه، أو اتحاده فيه مخرجاً وصفة، وهنا التأثر بسبب الاقتراب متفاوت الدرجة، فلا يعدو أن يكون مجرد انقلاب للصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس،فأقصى ما يصل إليه الصوت عند تأثره بجيرانه هو فناؤه في الصوت المجاور، فلا يترك له أثراً(٢٨).

ويقرر علماء الأصوات المحدثون أنَّ الأصوات اللغوية تؤثر بعضها في بعض في المتصل من الكلام، فعند نطق المرء النطق الذي لا تكلّف فيه يمكن أن تتأثر بعض أصوات الكلمة في بعض، وتؤثر بعض أصوات كلمة في أصواتِ كلمةٍ أخرى أيضاً، ولكن تختلف نسبة التأثر بين ما هو سريع يندمج في غيره أكثر من سواه، والمجاورة بين الأصوات هي السرّ فيما يصيب بعض الأصوات من تأثر، الذي

يهدف إلى نوعٍ من المشابهة ،تزداد بين الأصوات مع مجاورتها وقربها من الصفات، وهذا هو الانسجام الصوتي[٢٩].

وهناك قبائل مالت إلى الانسجام الصوتي، ومن هذه القبائل قبيلة تميم، ويتمثّل ذلك في قوله تعالى ((**إلاّ مَنْ اغترفَ غَرْفَةً بيدِه**))[البقرة/٢٤٩] إذ فتحت(الغين) في (غُرفة)،فكانوا يقرأونها(غَرْفَة)، وفتح (الغين) مع فتح (الفاء) يجعل اللسان يعمل في طريقٍ منسجم بعكس لغة الحجاز التي لا تميل إلى الانسجام؛ ولذلك قُرأت بالضم في (غُرفَة)؛ لأنَّ اللسان ينتقل من الضم إلى الفتح، وقرأ أبو عمرو بالفتح لأنه تميمي((٣٠).

ويرى د.إبراهيم السامرائي أنَّ الانسجام الذي ذهب إليه أنيس غير موجود، فهو لا يعرف عدم ميل الحجازيين إلى الانسجام((فهذا علمٌ غريب يبرأ منه علم الأصوات في عصرنا))[٣١]، ويؤيّد ما ذهب إليه من اضطراب رأيه في قوله في(قَرْح) في قوله تعالى((**إنْ يَمْسسكُم قَرْح**))[آل عمران/١٤٠] بقوله((والفتح لغة أهل الحجاز، وقرأ آخرون بضم القاف، والضم لغة تميم، فكيف صار الضم لغة البدوي الذي يميل إلى الخفّة والانسجام؟))[٣٢].

إنَّ قبيلة تميم تميل إلى انسجام الأصوات، وفتح الغين مع فتح الفاء في(غَرْفَة) تجعل اللسان يعمل بانسجام، عكس الحجازيين الذين لا يميلون إلى الانسجام[٣٣].

وظاهرة الانسجام هذه كما هي موجودة في لغتنا العربية وواضحةٌ فيها هي كذلك موجودة في اللغات السامية، بل أنها متجذّرةٌ فيها، وأطلقوا عليها (المماثلةAssimilation) وهي مصطلح لغوي صوتي أجنبي، يعني ما اصطلح عليه في العربية بالادغام والإبدال، فإذا كانت المماثلة كلية سُمي (إدغاماً) نحو(مَنْ يَشَاء) فهي ستصير(مَيَّشَاء) إذ تكون النون والياء مثلين فتُسمّى تامة، وإن كانت جزئية سُمّيت في العربية (إبدالاً) كقولنا: (اصْطبَغ) وهي افتعل من (صبغ)، وبما أنَّ التاء المنفتحة تصير منطبقة،أي: تصير طاءً لتتشابه مع الصاد المنطبقة[٣٤].

وتتعرض اللغات السامية إلى عمليات المماثلة، ولكن بأنواع مختلفة، فقد تحدث بين سواكن أو بين أصوات مد، أو من ساكنٍ إلى صوت مدّ، أو من صوت مدٍّ إلى ساكن،وقد تكون ذات تأثير تقدمي أو تأثيرٍ رجعي، وقد يكون التأثير متبادلاً، وقد تكون المماثلة جزئية أو كلية، مجاورة أو مفصولة[٣٥].

ومن المماثلة بين السواكن تقدمية وجزئية ومجاورة، مثلاً في العربية((اصْتَبَغَ تصير(اصطَبَغَ)، والأكدية(الآشورية الجديدة) اقْتَرِبْ تصير اقْطَرِبْ، وامْتَخِصْ معناها(حاربتُ) تصير... امْدَخِصْ (مجهوراً))[٣٦].

أما المماثلة الكلية الرجعية فمثلاً في العبرية كلمة(Yinten) معناها (يعطي) تصير(yitten)، فهنا ماثلت النون التي لا حركة لها للساكن التابع وأعطته سمة من سمات اللغات السامية الشمالية، وهي لا تحدث في السامية الجنوبية، ومماثلة اللام التي لا حركة لها للساكن التالي لها تكون أكثر ظهوراً في حال أداة التعريف العربية قبل كل السواكن التي تنطق من بين الأسنان (اللثوية)، والأسنانية النطعية، ولكن

تبقى اللام ظاهرة في الخط، مثلاً قولنا: الـ– شمس– تلفظ (اشَشمس)، والمماثلة الرئيسة مثلا: العربية اذْتَكَر تصبح ادَّكَرَ[٣٧].

- **المطلب الثاني:ظاهرة الإمالة وتطورها عند علماء اللغة:**

الإمالة لغة:الميل:العدول إلى الشئ والإقبال عليه،وكذلك المَيَلان، ومال الشئُ يميل ميلاً،وممالاً، ومميلاً،وتمْيَالاً [٣٨].

وعرَّفها اللغويون بأنها((أن تميل بالألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة))[٣٩]، قال ابن يعيش:إنها((عدولٌ بالألف عند استوائه، وجنوحٌ به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخّمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدّة الإمالة بعده تكون خفّتها))[٤٠].

وعرّفها الفرّاء بقوله إنها: ((ضد الفتح، وهي نوعان إمالة كبرى وإمالة صغرى، فالإمالة الكبرى حدُّها أن يُنطق بالألف مركّبة على فتح يصرف إلى الكسر كثيراً، والإمالة الصغرى حدُّها أن يُنطق بالألف مركّبة على فتحة تُصرف إلى الكسر قليلاً، والعبارة المشهورة في هذا بين اللفظين، أعني بين الفتح الذي حددنا، وبين الإمالة الكبرى))[٤١].

وعليه فالإمالة تمثّل ضرباً من ضروب التأثير الذي تتعرّض له الأصوات حين تتجاور أو تتقارب، وأعني بالأصوات الصائتين اللذين قد يكونان طويلين أو قصيرين[٤٢].

وقد جاءت بعض الروايات عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) أنَّه أمال في بعض كلامه، فلما سُئل، أتميل والإمالة ليست لغة قريش؟ أجاب بأنَّها لغة الأخوال من بني سعد[٤٣].

تمثّل الإمالة ظاهرة صوتية شائعة في القراءات القرآنية، تهدف إلى نوعٍ من المماثلة بين الحركات وتقريب بعضها من بعض[٤٤].

والغرض منها تحقيق التجانس والانسجام الصوتي بين الصوائت، بهدف الوصول إلى تقليل الجهد العضلي لأعضاء النطق، مما يؤدي إلى الخفّة والسهولة في النطق، وهو ما أشار إليه ابن جني بقوله: ((معنى الإمالة أن تنحو بالفتحة إلى الكسرة، فتميل الألف نحو الياء؛ لضربٍ من تجانس الصوت، وذلك قولك في عَالِم: عِالِم، وفي سَالِم: سِالِم، وفي رَمَى: رِمَى))[٤٥]، وقال ابن يعيش: إنَّ الإمالة هي((تقريب الأصوات بعضها من بعض لضربٍ من التشاكل))[٤٦]، وهذا قائم عندهم_ اعني القدماء– على اعتقادهم بوجود حركات قبل أحرف المدّ من جنسها، وهذا ما رفضه المحدثون؛ لأنهم يرون أنّ القدماء قد توهموا بوجود هذه الحركات القصيرة قبل أحرف المدّ، كما توهموا بوجود فتحةٍ ممالة قبل الألف الممالة، وضمةٍ مفخّمة قبل الألف المفخّمة في نحو:(عِالِم)، و(الصَلاَة)[٤٧].

وأول مَن ذكر الإمالة سيبويه إذ يرى أنها تقريب صوتٍ من صوت((فالألف تمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور، وذلك قولك عابد وعالم ومساجد... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما

قرَّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا(صدر) فجعلوها بين الصاد والزاي، فقرّبها من الزاي والصاد التماس الخفّة))[٤٨]

وقد جعل ابن عصفور للإمالة درجات من القوة تتضح في رأيه أنّ الإمالة لكسرة البناء هي أقوى منها لكسرة الإعراب، والمتصلة أقوى منها للمقدرة، وفيما كانت الألف فيه متطرّفة رابعة فصاعداً أو ثالثة منقلبة عن ياءٍ أقوى منها إذا كانت منقلبة عن واوٍ مكسورة[٤٩].

يَكْشف هذا القول من ميل الأصوات إلى التماثل، والانسجام، وأنّ هذا الميل يكون مع الأصوات التي تحصل الإمالة معها، وهذا أقوى في حصول إمالة الصوت مع صوتٍ مغاير، فضلاً عن توافر الشرط المناسب لحصول الإمالة، مما يجعل حصول الإمالة أقوى من الشرط المخالف لها أُميل، وكذلك مدى تماسّ الحرف للحركة أثناء الإمالة، فإذا كان اتصالهما قريباً قوّى ذلك من الإمالة، والعكس بخِلافه[٥٠].

والإمالة ليست دأب جميع العرب، وإنما تكون متحققة عند أهل نجد كـ(تميم)، و(أسد)، أما الفتح فمتحقق عند الحجازيين[٥١]،والإمالة تُعدّ مظهراً من مظاهر السرعة في لغات القبائل النجدية،والتفخيم من مظاهر التأني في لغة الحجازيين[٥٢]، فتحدث الإمالة لضربٍ من التجانس،فكما أنَّ الحركة ليست بفتحة محضة، كذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة،ولكن لهذا لايعني أنَّ كل ألف تنتهي بها الكلمة تمال، وإنما تمال الألف التي أصلها ياء، وربما هذه وظيفة الإمالة، فمثلا كلمة((تَتْرَا))–المؤمنون/٤٤– إذا أُميلت، فالألف أصلها ياء، وإن لم تمل فهي ألفٌ زائدة لحقت الكلمة[٥٣].

ويمكن أن يكون تقريب الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء في(عالِم) و(شيْبان) يمثّل ضرباً من التجانس، وتأثير الكسرة أو الياء على الألف[٥٤]، ((وكذلك ألف التفخيم التي يقرب لفظها من الواو تحت تأثير مجاورة أصواتٍ مفخّمة، مثل حروف الإطباق في نحو: الصلاة، والظلام، والطّلاق))[٥٥].

وترجع الإمالة غالباً إلى تجانس الصوت، إذ يخفّ على اللسان ويسهل في النطق[٥٦]، فهي ليست ظاهرة محدودة ذكرها العلماء وحاولوا استقصاءها وتحديدها، على الرغم من أنها بقيت محصورة في قبائل معينة، ولم تأخذ شكل القاعدة، ولكنها أثرٌ من آثار الظواهر الصوتية التي تلحق بالألسنة، وكما أنَّ للقدماء رأيٌ فيها كذلك للمحدثين رأي، وهو لا يكاد يختلف في أصوله عن كلام القدماء، سواء كانوا نحاةً أم قرّاء، قال شلبي: ((إنَّ المحدثين حين يتحدثون عن الإمالة يقسّمون الأصوات إلى Vwil Consonants، ويسمون الأولى ساكنة، والأخرى لينة، وأصوات اللين هي الحركات من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك الألف اللينة والياء اللينة والواو اللينة... ولا فرق بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المدّ؛ لأن العملية العضلية في الحالتين واحدة، وكل ما هنالك أنَّ الأصوات اللينة تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها))[٥٧].

وقد اعتنى بهذه الظاهرة الأستاذ في العربية(دانيال جونز) عندما وضع مقاييس عامة لأصوات اللين، فقد بدأ بتحديد الموضع الذي يمكن أن يصعد إليه اللسان نحو وسط الحنك الأعلى؛ حينما يكون الفراغ

بينهما كافياً لمرور الهواء من دون إحداث أيّ نوع من الحفيف، وأقصى ما يصل إليه اللسان يُعدّ موضعاً مضبوطاً في أصوات اللين، وقد رمز له بالرمز (i) أو ما يُشبه الكسرة الرقيقة في لغتنا[٥٨].

يُفهم من هذا أنَّ دانيال صرّح بعدم وجود احتكاك عند النطق بأصوات اللين، وهذا مالاأراه؛ لأنّ الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى يختلف عند النطق بالصوت اللين عن النطق بالصوت المدّي، أي: أنَّ النطق بصوت اللين (الياء) يكون أضيق منه في حالة النطق بالياء المدّية، ونتيجة لذلك يُسمع الحفيف(الاحتكاك) معها، وكذلك صوت اللين(الواو)، فإنها تختلف عن الواو المدّية(u) في أنّ الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو اللينة يكون أضيق منه في حالة النطق بالواو المدّية[٥٩].

إنَّ الحديث عن الإمالة طويلٌ ومتشعّب، ولاسيّما استعمال القرآن لها، فضلاً عن استعمالها منطوقة بنوعيها: الصغرى والكبرى، وسنعرض –هنا– بعض الأمثلة؛ التي ندلل بها على ربطها بالانسجام الصوتي الذي تسعى إليه اللغة.

الذي نريد قوله:إنّ الحديث عن الإمالة لم يكن حديثاً عن ظاهرةٍ من حيث الوجوب، والجواز، والامتناع، ولكنه حديث عن بيان أثر الانسجام الصوتي فيها، وقبل الحديث عن هذه الأمثلة، لابدّ لنا أن نتصور العلاقة بين الكسرة الطويلة(الياء)، والكسرة القصيرة(الكسرة) من جهة، وبيان الإمالة من جهةٍ أخرى،الإمالة((التي هي ذكر الفتحة الطويلة أو القصيرة بلفظ –أي بصوت–؛ الكسرة لوقوعهما في صحبة الكسرة الطويلة أو القصيرة، إنّ الجامع بينهما في عُرف اللغة متأتٍ من أحد وجوهها))[٦٠]، وهو الانسجام الصوتي، وهي((فيما أميل لسبب موجود في اللفظ، وفيما أميل لإمالة غيره، فإنهم أرادوا أن يكون عمل اللسان، ومجاورة النطق بالحرف الممال لسبب الإمالة من وجهٍ واحد وعلى نمطٍ واحد))[٦١].

ونستطيع بعد هذا العرض القول: إنَّه إذا اجتمعت كسرة مع فتحة في موضعٍ ما غلبت الكسرة لقوتها، التي تأتي من كونها إحدى مقتضيات الإمالة، فلا تكون الإمالة من دونها؛ لأنهم إنما يُميلون لأجلها، فاللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، فيكون الإنحدار أخفّ من أن يصعّدوا من حال التسفّل، وإنما يُغلّبون الكسرة على الفتحة التماساً للخفّة، فهي تغلبها وإن كانت محذوفة، لكونها موجبة للإمالة، كما كانت موجبة قبل الحذف، لكونها أساساً في الكلمة، وقد أمال العرب لأجل الكسرة المقدَّرة، كما أمالوا للجرّ كقوله تعالى((قالوا إنَّا للِه))[البقرة/١٥٦] قُرِئَت[٦٢]:(إنا) بالإمالة إظهاراً لكسرة اللام التي في (الله)، وإن كان(نا) مما عُدّ مُشْبِهاً للحرف الذي لا إمالة فيه، لكونها غير مشتقة، ولا متصرّفة، فلا يُعرف لها أصلٌ غير هذا الذي هي عليه[٦٣]، فالإمالة –هنا– جاءت من أجل الإمالة التي تُمثّل نوعاً من أنواع الانسجام الصوتي، إذ أمال((الكسائي الألف بعد النون من (إنَّا لله) لإمالة الألف من(لله)، ولم يُمل(وإنَّا إليه) لعدم ذلك بعده))[٦٤].

ولذلك فإنّه يمكننا((أن ندخل الإمالة في نوعٍ من المشاكلة هو: الانسجام الصوتي، أما الإمالة من أجل الإمالة فنسلكها في نوعٍ آخر هو: الانسجام الاسلوبي(التركيبي)))[٦٥].

أما في((تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسِد في الأرض))[يوسف/٧٣]،فقد جعل كثرة الاستعمال منها كالكلمة الواحدة، حينما وقعت الألف في (تا) قبل الكسرة، والألف تمال بعدّها حرفاً مكسوراً بأن يجعل صوته بينَ بين، وتنحية الفتحة قبله نحو الكسرة، لغلبة الكسرة عليها بدليل كسر الكاف من (كافِر) لأن كسرة ألف المخرج بين بين، ولأنهم حين قرّبوا الألف من الكسرة اجتمعت الفتحة الملازمة له مع الكسرة؛ لأن الألف ساكنة، وبما أنَّ الساكن هو حاجزٌ غير حصين، فقد غلبت الكسرة لقوتها ونُحّيت بالفتحة؛ لكونها من الألف لا ملازمة لها، ولم يغلّبوها؛ لكون الانحدار أخفّ من الاستعلاء، وذلك حسنٌ عندهم، لكثرة الاستعمال[٦٦].

ومن أمثلة الإمالة أيضاً، التي تحقق فيها الانسجام الصوتي قوله تعالى((ومَن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا))- الإسراء/٧٢- قال الزركشي:((فيه وجهان: أحدهما أنه من عَمَى القلب الذي يتولّد من الضلالة، وهو ما يقبل الزيادة والنقص، لا من عمى البصر الذي يحجب المرئيات عنه، وقد صرَّح ببيان هذا المعنى قوله تعالى((فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)) - الحج/٤٦-، وعلى هذا فالأول اسمُ فاعل، والثاني أفعلُ تفضيل من فقد البصيرة،والثاني أنَّه من عمى العين، والمعنى مَنْ كان في هذه أعمى من الكفار فإنّه يُحشر أعمى، فلا يكون أفعل تفضيل، ومنهم مَن حمّل الأول على عمى القلب والثاني على فقد البصيرة، وإليه ذهب أبو عمرو فأمال الأول وترك الإمالة في الثاني لمّا كان اسماً، والاسم أبعد من الإمالة))[٦٧]، وقال الطبري:((واختلفت القرّاء في قراءة قوله((فهو في الآخرة أعمى))،فكسرت القرّاء جميعاً الحرف الأول، أعني: قوله((ومَنْ كان في هذه أعمى))، وأما قوله((فهو في الآخرة أعمى)) فإنَّ عامة قرّاء الكوفيين أمالت أيضاً قوله((فهو في الآخرة أعمى))، وأما بعض قرّاء البصرة فإنّه فتحه وتأوّله بمعنى فهو في الآخرة أشدّ عمى، واستشهد لصحّة قراءته بقوله((وأضلُّ سبيلا))، وهذه القراءة هي أوْلى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه))[٦٨].

وبهذا تكون الإمالة- وهي ظاهرة صوتية- قد أدّت أكثر من غرض في هذا النصّ القرآني، لاسيّما ما يتصل بالجانب الصوتي منه،وأعني به الإنسجام الذي نتج عن تفاعل الأصوات، وفصّل في بيان أيّ الاسمين ناب عن اسم الفاعل القياسي الذي غُيّب، ولم تستعمله العرب، وأيُّهما اسم التفضيل، وعليه تكون الإمالة قد حقَّقت انسجاماً صوتياً، نتج عنه خفّة وسهولة في النطق، فضلاً عن تحقيق الإبانة والإفصاح والبلاغة، إلى جانب التقارب اللغوي الذي فصّلت الإمالة الأمر فيه، وأزالت الغموض عنه.

ومن مظاهر الإمالة ما تحقق في الراء المكسورة أيضاً التي تُعدّ من أسباب الإمالة القوية نحو إمالة الألف في(من النار، وأدرَاكَ، ومجْرِيها) كون الكسرة مع الراء تتضاعف فتصير كسرتين[٦٩]، و((الكسرة الواحدة سببٌ قوي للإمالة فكيف إذا كانت كسرتين؟ فتلك قوةٌ مضاعفة للإمالة، أما إذا كانت الراء مفتوحة

أو مضمومة، فإنها تضاهي قوة حروف الاستعلاء المفخّمة في منع الإمالة، فلا تميل نحو قولك: اشْتَعَلَتْ نارُكَ، ورأيتُ نارَكَ؛ لأجل الراء؛ لأن الراء(إذا كانت مضمومة أو مفتوحة، فالضم والفتح يتضاعفان، وهما يمنعان الإمالة)[٧٠]))[٧١].

يتبيّن مما سبق أنَّ الإمالة كلّما قويت تحقق الانسجام الصوتي بشكل أكبر، ولا غرابة في ذلك؛ لأنّ الكسرتين يُعْنى بهما التماثل الحركي،وهذا ضربٌ من أضرب الانسجام الصوتي، الذي يُعدّ أحد المصطلحات المرادفة للمماثلة.

فالإمالة ترجع في حالاتها كلّها إلى وجود كسرة أو ياءٍ مجاورة للألف في التعامل الصوتي، فالألف الممالة نحو الياء((تُنطق برفعٍ مقدّم اللسان نحو الحنك الصلب، فيكون قريباً من موضع الحركة المعيارية(e) على معيار جونز، أما الإمالة الخفيفة فتكون قريبة من الحركة المعيارية(c)))[٧٢].

والذي أرمي إليه بعد كل هذا العرض لظاهرة الانسجام الصوتي في الإمالة أنَّ مفهوم الإمالة لا يختلف بين القدماء والمحدثين، إذ هي عندهم((نطق الألف في حالاتٍ لغوية محددة نطقاً خاصاً قريباً من نطق الياء))[٧٣]،وكذلك هي ضربٌ من التماثل بين الحروف، وضربٌ من الاتباع الحركي[٧٤]، وغايتها ((الانسجام الصوتي والتماس الخفّة))[٧٥].

- المطلب الثالث: ظاهرة الاتباع الحركي:

الاتباع في اللغة هو :((تبعَ الشئ تَبَعاً وتِبَاعاً في الأفعال، وتَبِعتُ الشئَ تُبُوعاً سِرْتُ في أثره، وأتَّبَعَهُ وأتْبَعهُ وتتبَّعَهُ قفَاه وتطلّبهُ مُتَّبِعاً له،...قال سيبويه: تتبَّعهُ اتباعاً لأنَّ تتبّعت في معنى اتّبعت، وتَبِعتُ القوم تَبَعاً وتَباعةً بالفتح إذا مشيتُ خلفهم أو مرّوا بكَ فمضيتَ معهم))[٧٦]،أما في الاصطلاح فهو مماثلة صوت الحركة عند النطق به لصوت حركةٍ أخرى؛ بهدف الوصول إلى التجانس والانسجام بين الحركات والتخفيف من الجهد الذي يُبذل بالنطق للصوت[٧٧].

لقد بيّن علماء العربية أنَّ لبعض المصوتات تأثيراً في بعضها الآخر، وبُنيَت على ذلك هذه الظاهرة الصوتية، التي عبّر عنها المحدثون بـ(الانسجام الصوتي)[٧٨]، وهي ((ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضمٍ إلى كسرٍ إلى فتح في الحركات المتوالية))[٧٩]، قال سيبويه: ((اتبعوا الكسرة الكسرة كما قالوا مِنْتِن))[٨٠]، الغرض منه((تقريبُ صوتٍ من صوت))[٨١].

وورد هذا المصطلح عند ابن عصفور موضحاً لمعناه في قوله:((أن يحرّك الساكن بحركة مثل حركة ما قبله))[٨١].

إنَّ اللغة العربية لغة شفويةٌ في نشأتها، وعليه فلم تتقيّد بقيود الكتابة، وإنما اكتُفي منها أول الأمر بالسماع والنطق؛ لذلك عُنيت عناية كبيرة بتحقيق الانسجام بين الصوائت[٨٢].

لقد عرف علماء اللغة القدماء هذه الظاهرة، فضلاً عن أنهم نسبوها إلى القبائل التي تكلّمت بها، ولا سيّما أنّ سيبويه قد وضّح ذلك قائلاً:((لِئِيم وشِهِيد وسِعِيد ونِحِيف ورِغِيف وبِخِيل، وشِهِد ولِعِب وضِحِك... فأرادوا أن يكون العمل من وجهٍ واحد... وأما أهل الحجاز فيجرون جميع هذا على القياس))[٨٣].

يُفهم من هذا أنّ ميل القبائل البدوية إلى التوافق الحركي، ومخالفة القياس جاء بما يقتضيه الانسجام الصوتي إلى (الكسر)، وهذا يمثّل خصيصة لغوية للتميميين[٨٤]، ولاسيّما أنّهم انتقلوا من الفتحة المعروفة بخفّتها إلى الكسرة التي تكون أكثر ثقلاً ، ولعلّ ما دفعهم إلى ذلك هو بغية تحقيق الانسجام الصوتي بين الصوائت القصيرة.

أما أهل الحجاز فاختاروا موافقة القياس، وإن كان ذلك لا يُحقق انسجاماً في المصوتات إلا أنه التزم فتح أحرف الحلق لما يحققه ذلك من خفّة على اللسان عندهم، كونهم عرفوا برقّة الحسّ ورهافة الشعور.

ومثل هذا الاتباع يقع في الصوائت القصيرة عند التقاء الساكنين، في قراءة قوله تعالى:((أنْ اُعْبُدوا اللهَ))[المائدةم١٧]، إذ ضُمَّت النون هنا؛ لاستثقال النطق بكسرة وقعت بعدها ضمّة[٨٥].

وقد قال فيها الدكتور إبراهيم أنيس:إنّها((ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشتمل على حركاتٍ متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضمٍ إلى كسرٍ إلى فتح في الحركات المتوالية))[٨٦].

ومن مظاهر الانسجام الصوتي أيضاً؛ قوله تعالى:((تُسَاقِطْ علَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً))[مريم/٢٥]، إذ قرأ طلحة بن سليمان(جِنِيًّاً) بكسر الجيم على إتباع فتحة الجيم كسرة النون[٨٧]، قال المنتجب: ((وقُرئ:(جِنِيّا) بكسر الجيم على الإتباع كالمغيرة تَشْبيهاً للنون بأحرف الحلق، وإن لم تكن منهُنّ، وذلك أنّ النون متعالية، وهُنّ سوافلُ، وكلّ في شقّه مُضاهٍ لصاحبه، والقوم يُجْرون الشيء مجرى نقيضه، كما يُجْرونه مُجرى نظيره))[٨٨].

وقد ذكر الدكتور غالب فاضل المطلبي بأنّ الإتباع الذي حصل هنا إنما يمثّل((الانسجام الحاصل بين حركات اللفظة الواحدة نتيجة تأثير بعضها في بعض طلباً للخفّة والتآلف وابتعاداً عن الثّقل والتنافر))[٨٩].

الذي نريد قوله: إنَّ الحركة الواقعة بعد الحرف الحلقي تؤثر في الحركة المتقدمة عليه، فينسجمان لما بينهما من تماثل((فلم تمنع قوة هذه الحروف، وإن كانت فاصلة بين حركتين متنافرتين))[٩٠]، فغلبت قوة كسرة الحرف الحلقي، وأثرت فيما قبله من حركة،((ولا يؤثر هذا الإتباع صوتياً في نوع المقطع وأشكاله؛ لأنَّ حروف الكلمة(الصوامت) ثابتة، والتغيّر حاصل في الصوائت فقط نحو:شَهِيد:/ش ـَ/هـ ـِ/د ـُ ن/ بالإتباع شِهِيد:/ش ـِ/هـ ـِ/د ـُ ن/، فالمقاطع نفسها في الحالتين والذي تغير هو نوع الصائت القصير في أول الكلمة))[٩١].

جاء في المهذّب:((والأصل الكسر، ولكنّهم استثقلوا الكسرة مع حرف الحلق، فاستبدلوا بها الفتحة لخفّتها))[٩٢]، إلا أنَّ هذا الأمر غير مقبول عند د.إبراهيم أنيس الذي وجدته رافضاً لهذا الاستدلال ومنكراً لوجود أيّة علاقة بين أصوات الحلق وبين هذا الكسر[٩٣].

في حين أنَّ الدكتور حسام النعيمي ذكر عكس ذلك،فقد اشترط وجود علاقة صوتية مؤيداً ما ذهب إليه القدماء؛ فيقول:((حين أنكر حرف الحلق في مثل شِعير وبِعير، مال حرف الحلق إلى الياء أو بعض الياء فلم يعد له ذلك القرب من الألف بانفتاحه الذي استدعى بعض الألف قبله، أو بسكونه الذي استدعى بعض الألف كونه من مخرجها من غير حركةٍ معارضة، فمالوا مع الصوت الجديد بأن منحوه بعض الياء، وهي الكسرة ليتمّ التناسب الصوتي بين الكسر والكسر))[٩٤]، ثم يزيد على ذلك دليلاً آخر على اشتراط هذا الكسر مع أصوات الحلق قائلاً:((أهل هذه اللهجة ناسبوا حرف الحلق؛ إذا كان مكسوراً، فهو إذن انسجام صوتي جَرَّ إليه حرفُ الحلق))[٩٥].

ومن مظاهر الانسجام الصوتي أيضاً؛ قوله تعالى:((ثمانيةَ أزواجٍ من الضَّأْن اثنينِ ومن المَعْز اثنين قُلْ ءالذكرين حَرَّم أمِ الأنثيينِ أمَّا اشتَمَلت عليه أرحام الأنثيين نبِئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين،ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قُلْ ءالذكرين حَرَّم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأُنثيين))[الأنعام/١٤٣-١٤٤]،قُرِئت(المعز) بقراءتين:الأولى: بفتح العين(المعَز)، والثانية:بتسكينها(المَعْز)، ولكل من القراءتين حجّة، -وإن كانت كلا القراءتين قد حققت انسجاماً- فحجّة مَنْ قرأ بالفتح أنّها تؤدي إتباعاً[٩٦]، ولاسيّما((أنَّ سبب الفتح في هذا وأمثاله هو إيثار حرف الحلق الفتحةَ))[٩٧]؛ لخفّتها و((لأنَّ الفتحة مُذْ تمرّ بالحلق لا يعترض طريقها شئ، فهي بهذا أخت لأصوات الحلق، فأصوات الحلق تطلب من الحركات ما يشاكلها، ليكون الكلام من جنسٍ واحد))[٩٨].

أما حجّة مَنْ قرأ(المَعْز) بتسكين العين فهي أنّ(المَعْز) جاءت مقابلة لـ(الضَّأْن)، ففي كلا اللفظتين جاء السكون بعد الفتح((وفي الوقت نفسه فإنّ (الإبِل) متناسبة بعضها مع بعض(أي كسر فكَسر)، والبقر متناسبة مع بعض كذلك(أي فتحٌ ففتح)؛ وهما معاً متناسبتان؛ لأنّ لهما اتّزاناً داخلياً واحداً ككسرتي الأولى تقابل فتحتيّ الثانية))[٩٩].

ومن مظاهر الانسجام والتوافق في الصوائت القصيرة،حركة همزة الوصل في نحو:(اُقْتُرِبَ) و(اسْتُضْعِفَ)و(اُنْطُلِقَ) و(اُحْرِنجِمَ)، فالأكثر في همزة الوصل مع الفعل الكسر إلا أنّ هذه الأمثلة جاء فيها الحرف الثالث مضموماً، وعليه ضُمّتْ همزة الوصل إتباعاً لضمة الحرف الثالث، وهذا من باب التأثّر الرجعي، وهو تأثّر الصوت السابق بالصوت اللاحق له، وقد علل اللغويون إتباع ضمة الهمزة لضمة ذلك الحرف بكراهية الانتقال من الكسرة إلى الضمة التي بعدها[١٠٠]، ((فأرادوا أن يكون العمل من وجهٍ واحد؛ طلباً للخفّة واقتصاد الجهد))[١٠١].

الخـــاتمة

يمثّل الانسجام الصوتي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشتمل على حركاتٍ متباينة فيما بينها،تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين حركاتها، بهدف عدم انتقال اللسان من حركة إلى حركة مغايرة،وقد تبيّن أنّ هذه الظاهرة لها ميدان واسع أوسع من أن تُحدد بـ(الإمالة) و(الإتباع الحركي)، ولاسيّما أنّ المماثلة والمشاكلة والمناسبة والتقريب كلّها تدخل ضمن ميدانها .

إنّ لمصطلح(الانسجام الصوتي) جذوراً في الموروث اللغوي، وإن كان لم يُصرّح بلفظه إلا أنّه صُرّح بمعناه؛ فالغاية من الإمالة والإتباع الحركي هو تحقيق الانسجام الصوتي والتماس الخفّة في النطق، وبهذا تكون الإمالة والإتباع وسيلة لتحقيق غاية تتمثّل بالانسجام الصوتي؛ بغية الخفّة والسهولة في النطق؛فالحديث عن الإمالة والإتباع الحركي طويل وواسع؛ بسبب تسجيل القرآن الكريم لهما، وبسبب استمرار النطق بهما على ألسنة قبائل عربية إلى يومنا هذا.

لقد كشف البحث عن عدم تأثّر نوع المقطع وأشكاله بالإتباع الصوتي، وعلّة ذلك أنّ الصوامت تكون ثابتة لا تغير فيها، وإنما التغيّر حاصل في الصوائت القصيرة فقط، فينتج عن ذلك التغير حصول انسجام صوتي يبيّن تلك الصوائت؛ كما أثبت البحث أنَّ لا خلاف بين اللغويين القدماء والمحدثين في مفهوم الإمالة،أي: أنهم يجمعون على أنَّها نُطْق الألف في حالاتٍ لغوية محددة، نطقاً خاصاً قريباً من نُطْق الياء.

ويتحقق الانسجام الصوتي في ظاهرة الإتباع بين صوتين في الكلمة الواحدة، سواء أكان الاتصال بينهما اتصالاً مباشراً أم غير مباشر، وبين صوتين في كلمتين؛والإتباع الحركي الذي يرمي إلى الوصول إلى حالة الانسجام الصوتي يكون على قسمين اثنين، مقبل، ومدبر، أي: تقدمي ورجعي، وفي كليهما تكون الغاية تحقيق الانسجام الصوتي طلباً للخفّة وسهولة النطق؛فقد يلجأ المتكلّم إلى الانسجام الصوتي المتمثّل بالإتباع الحركي نتيجة التقاء ساكنين، ولا غرابة في ذلك كونها ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات.

إنَّ للإمالة درجات من القوة، فكلما كان الشرط المناسب متوافراً لحصول الإمالة كانت الإمالة أقوى، وبهذا يكون الانسجام الصوتي أكثر.فالإمالة تحقق انسجاماً صوتياً، فضلاً عن أنها تحقق الإبانة والإفصاح والتقارب اللغوي.

الهوامـــش

١- لسان العرب، ابن منظور، باب سَجَمَ، ١٨٣/٦.

٢- ينظر، معجم النقد العربي القديم، د.أحمد مطلوب: ٢٤١/١.

٣- في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل إبراهيم العطية،ص ٧٥.

٤- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية،محمد رشاد الحمزاوي ،ص ٧٥.

٥- ينظر، الأصوات اللغوية،د.إبراهيم أنيس،ص ٢٧٨.

٦- علم اللغة، عبد الله عبد الحميد، ص ٢٣٧.

٧- ينظر، في البحث الصوتي عند العرب،ص٧٦، وفي اللهجات العربية،د.إبراهيم أنيس، ص٩٦.

٨- ينظر، كتاب العين،المقدمة، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٥٢/١، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية من القرن٣للهجرة حتى القرن٧للهجرة،حسن أحمد مهاوش،أطروحة دكتوراه،ص ١٠٤.

٩- ينظر، الكتاب، سيبويه، ٤٧٧/٤.

١٠- الخصائص،ابن جني ، ١٤٢/٢.

١١- المنصف لكتاب التصريف،ابن جني،ص ٥٤٤.

١٢- ينظر، اللهجات العربية في التراث، د.أحمد علم الدين الجندي، ٢٦٧/١.

١٣- ينظر:، الخصائص ، ١٤٥/٢.

١٤- ينظر، م.ن،ص ١٤٦-١٤٧.

١٥- ينظر، المنصف لكتاب التصريف،ص ٥٤٩.

١٦- شرح المفصل،ابن يعيش، ٥٤/٩.

١٧- ينظر، النشر في القراءات العشر،ابن الجزري، ٢١٤/١.

١٨- همع الهوامع، جلال الدين السيوطي ،٢٢٣/٢-٢٢٤.

١٩- ينظر، ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي،دراسة في تفسير روح المعاني للآلوسي،الأستاذة صفية طبني، الصفحات٨٨-٨٩.

٢٠- اللهجات العربية في التراث،ص ٧٢، وفي اللهجات العربية القديمة،د.إبراهيم السامرائي،ص١٨.

٢١- في البحث الصوتي عند العرب،ص ٥٦.

٢٢- ينظر، م . ن ،ص ٥٧، والمشاكلة في اللغة العربية (صوتياً وصرفياً)،ماهر خضير هاشم، ص٥.

٢٣- المدخل إلى علم أصوات العربية،د.غانم قدوري الحمد،ص٢١٩.

٢٤- ينظر، في البحث الصوتي عند العرب، ٧٦.

٢٥- اللهجات العربية في التراث، ٩٨/١، ويرد د.علاء الحمزاوي أنَّ هذا الحكم ليس بوصفٍ عام؛ لنَّ ثمة ظواهر مالت فيها القبائل المتحضّرة إلى التخفيف، على حين حافظت القبائل البدوية على الأصل في

النطق، ومن ذلك تحقيق بالهمز وتخفيفه، ينظر: الخصائص اللغوية لرواية حفص/الهامش،د.علاء الحمزاوي،ص٣٩.

٢٦- ينظر، الكتاب، ١٩٥/٤، والحجة للقراء السبعة،أبي علي الفارسي، ٤٠/١، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، ٤٤/١.

٢٧- اللهجات العربية نشأة وتطوراً،د.عبد الغفار حامد هلال،ص ١١٠.

٢٨- ينظر، م . ن .

٢٩- ينظر، الأصوات اللغوية،ص ١٧٩، والمدخل إلى علم أصوات العربية،ص ١٩٤-١٩٥.

٣٠- ينظر، في اللهجات العربية القديمة ، ١٩.

٣١- م . ن .

٣٢- م . ن .

٣٣- م . ن.

٣٤- ينظر، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن،سباتينو موسكاتي وآخرين،ص ٩٩/الهامش.

٣٥- ينظر، م . ن،ص ٩٩-١٠٠.

٣٦- م . ن .

٣٧- ينظر، م . ن ،ص١٠١.

٣٨- ينظر، لسان العرب،مادة ميل،٦٣٦/١١.

٣٩- الأصول في النحو،ابن السرّاج، ١٦٠/٣.

٤٠- شرح المفصل، ٥٤/٥.

٤١- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري ،ص٥٧.

٤٢- ينظر، في اللهجات العربية ،ص١٣٤.

٤٣- الحديث في جمال القراء وكمال الإقراء،السخاوي،٤٩٨/٢،وينظر،الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،٩١/١.

٤٤- ينظر،مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي عند سيبويه،جيلالي بن يشو،ص٣.

٤٥- اللمع في العربية،ابن جني ،ص ١٥٦.

٤٦- شرح المفصل، ٥٤/٥.

٤٧- ينظر، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني،د.حسام سعيد النعيمي،ص ٣٣١.

٤٨- الكتاب، ٢٧٨/٣.

٤٩- ينظر، المقرّب، ابن عصفور الأشبيلي ،ص ٣٤٩-٣٥٠.

٥٠- البحث الصوتي عند ابن عصفور الأشبيلي،مصطفى حسين مزعل،رسالة ماجستير،ص١٨١.

٥١- ينظر، الأصول في النحو،١٦٠/٣، وارتشاف الضرب من لسان العرب،أبو حيان الأندلسي، ١٣٨/١.

٥٢- ينظر، في اللهجات العربية،ص ٦٠.

٥٣- الخصائص اللغوية لرواية حفص،ص٤٦.

٥٤- ينظر، اللمع في العربية ،ص ١٥٦.

٥٥- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية،يحيى سالم الجبوري،اطروحة دكتوراه، ص ١٢٠.

٥٦- ينظر، نحو القرّاء الكوفيين،خديجة أحمد مفتي،ص ٢٥٦.

٥٧- في الدراسات القرآنية واللغوية(الإمالة في القراءات واللهجات)،عبد الفتاح شلبي،ص٦٣، وينظر، الأصوات اللغوية،ص ٨١.

٥٨- ينظر، في الدراسات القرآنية واللغوية(الإمالة في القراءات واللهجات)،ص٦٥.

٥٩- ينظر، الأصوات اللغوية،ص ٤٢، ومفهوم القوة والضعف في أصوات العربية،ص١٠٤.

٦٠- المشاكلة بين اللغة والبلاغة،دراسة تطبيقية في القرآن الكريم،عبد الرحمن عبد القادر العربي،رسالة ماجستير،ص١٠٣.

٦١- الإتقان في علوم القرآن، ٢٤٦/١، وينظر، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر،أحمد الدمياطي الشهير بالبناء،ص٧٥،الهامش.

٦٢- وهي قراءة الكسائي، ينظر: مختصر في شواذ القرآن،ج، براجشتراسر: ١١.

٦٣- ينظر، شرح المفصل، ٦٦/٩.

٦٤- الإتقان في علوم القرآن،ص ٢٤٥-٢٤٦.

٦٥- المشاكلة بين اللغة والبلاغة،دراسة تطبيقية في القرآن الكريم،ص ١٠٣.

٦٦- ينظر، مختصر في شواذ القرآن ،ص ١.

٦٧- البرهان في علوم القرآن ،أبو عبد الله الزركشي ، ١٧٠/٤.

٦٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن،الطبري ،١٢٩/١٥.

٦٩- ينظر، إعراب القرآن، النحاس، ١٦٨/١، وشرح شافية ابن الحاجب،الأستراباذي، ٢٠/٣.

٧٠- شرح المفصّل ،٦١/٩.

٧١- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية،ص ١١٦-١١٧.

٧٢- الأصوات اللغوية،ص ٤١.

٧٣- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة،د.غالب فاضل المطلبي،ص ١٢٧.

٧٤- ينظر، م . ن ،ص ١٢٨.

٧٥- في الدراسات القرآنية واللغوية(الإمالة في القراءات واللهجات العربية)،ص٣٢٣.

٧٦- لسان العرب، مادة تبعّ، ١٣/٢.

٧٧- ينظر، في البحث الصوتي عند العرب،ص ٧٥وص٧٧.

٧٨- ينظر،شرح جمل الزجاجي،ابن عصفور الأشبيلي، ٤٢٨/٢

٧٩- في اللهجات العربية، ص٨٦.

٨٠- الكتاب،٣٥٥/٢.

٨١- الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي، ٦٤/٢.

٨٢- ينظر، في الدراسات القرآنية واللغوية(الإمالة في القراءات واللهجات العربية)،ص٢٦٧.

٨٣- الكتاب، ١٠٧/٤-١٠٨.

٨٤- ينظر، في اللهجات العربية،ص ٨٦.

٨٥- ينظر، إعراب القرآن ، ٥٣٢/١.

٨٦- في اللهجات العربية،ص ٨٦.

٨٧- ينظر، المحتسب، ٤١/٢، والبحر المحيط، أبو حيان ألأندلسي، ١٧٥/٦.

٨٨- الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، ٣٩٤/٣.

٨٩- في الأصوات اللغوية-دراسة في أصوات المدّ العربية، د. غالب فاضل المطلبي،ص٥٠.

٩٠- توالي الأمثال في اللغة العربية(دراسة صرفية صوتية)،لمياء عبد الله عبد الحسن،رسالة ماجستير،٩٦.

٩١- م . ن، ص٩٧.

٩٢- المهذَب في علم التصريف، د.هاشم طه شلاش،ص ٦٩.

٩٣- ينظر، في اللهجات العربية،ص ٩٨.

٩٤- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني،ص٢١٦-٢١٧.

٩٥- م . ن ،ص٢١٧.

٩٦- ينظر، النشر في القراءات العشر،٢٦٦/٢، وإتحاف فضلاء البشر،ص ٢١٩.

٩٧- المشاكلة بين اللغة والبلاغة مع دراسة تطبيقية في القرآن الكريم،ص١٠٨.

٩٨- م . ن ،ص٣١.

٩٩- م . ن ،ص ١٠٨.

١٠٠- ينظر، التكملة، أبو علي الفارسي،ص١٧، وسرّ صناعة الإعراب، ابن جني،٤٩/١.

١٠١- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية،ص١٢٠.

المصادر

- القرآن الكريم.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر،أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء(ت١١٧هـ)،رواية وتصحيح وتعليق: علي محمد الضباع،دار الندوة الجديدة، بيروت،د.ت.
- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، طبع مطبعة أحمدي،د.ت.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحّاس(ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد،مطبعة العاني، بغداد،١٩٧٧م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق:د.مصطفى أحمد النمّاس، مطبعة النسر الذهبي، ط١، ١٩٨٤.

- الأصوات اللغوية،د.إبراهيم أنيس، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٥.
- الأصول في النحو، أبو بكر بن السرّاج(ت٣١٦هـ)، تحقيق:د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط٢، ١٩٨٧.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠١.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق:د.محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة،بيروت،١٩٧١.
- التكملة، أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د.كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل، ١٩٨١.
- التمهيد في علم التجويد، أبو الحسين محمد بن الجزري(ت٨٣٣هـ)، تحقيق: د.غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط١، ١٩٨٦.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري(ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥.
- جمال القراء وكمال الإقراء،علم الدين السخّاوي(ت٦٤٣هـ)،تحقيق:د.علي حسين البواب،مكتبة التراث، مكة المكرمة،مطبعة المدني ،ط١، ١٩٨٧.
- الحجّة للقرّاء السبعة،أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ٢٠٠١.
- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق:محمد علي النجّار، دار الشؤون الثقافية،بغداد،١٩٩٠.
- الخصائص اللغوية لرواية حفص،دراسة في البنية والتركيب، د.علاء الدين حمزاوي،د.ط، د.ت.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د.حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد١٩٨٠.
- سرّ صناعة الإعراب،أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د.حسن هنداوي،دار القلم–دمشق، ط١، ١٩٨٥.
- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الأشبيلي(ت٦٦٩هـ)، تحقيق:د.صاحب أبو جناح، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل،١٩٨٢.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)،تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين،دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧٥.
- شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش النحوي(ت٦٤٣هـ)،عالم الكتب،بيروت،د.ت.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد،المنتجب الهمذاني، حسين بن أبي العز(ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د.فهمي حسن النمر،ود.فؤاد علي مخيمر،دار الثقافة، الدوحة،١٩٩١.
- في البحث الصوتي عند العرب،د.خليل إبراهيم العطية،سلسلة الموسوعة الصغيرة،دار الحرية،بغداد،١٩٨٣.

- في الدراسات القرآنية واللغوية(الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، عبد الفتاح شلبي،دار الشروق،١٩٨٣.
- في اللهجات العربية، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الآنجلو المصرية، ط٣، ١٩٦٥.
- في الأصوات اللغوية،دراسة في أصوات المد، د.غالب فاضل المطلبي، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد١٩٨٤.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان الشهير بـ(سيبويه)، تحقيق: عبد السلام هارون،عالم الكتب، بيروت،ط٣، ١٩٨٣.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)،تحقيق: د.مهدي المخزومي،ود.إبراهيم السامرائي،د.ط، د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)،طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها:أمين محمد عبد الوهاب،محمد الصادق العبيدي،دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت،لبنان،ط٣،د.ت.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق:سميح أبو مغلي،دار مجدلاوي للنشر ،عمان١٩٨٨.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د.غالب فاضل المطلبي،منشورات وزارة الثقافة في العراق،بغداد،١٩٧٨.
- اللهجات العربية في التراث،د.أحمد علم الدين الجندي،الدار العربية للكتاب،ليبيا،١٩٧٨.
- اللهجات العربية نشأة وتطوراً، د.عبد الغفار حامد هلال،دار الفكر العربي، ١٩٩٨.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصيف، ود.عبد الحليم النجار، ود.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٩٦٦.
- مختصر في شواذ القرآن، من كتاب البديع لابن خالويه،عنى بنشره:ج.براجشتراسر، دار الهجرة،د.ت.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، أ.د.غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي،٢٠٠٢.
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن،تأليف سباتينو موسكاتي وآخرين،ترجمه وقدم له:د.مهدي المخزومي،ود.عبد الجبار المطلبي،عالم الكتب،بيروت،ط١، ١٩٩٣.
- المقرّب، ابن عصفور الأشبيلي(ت٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري،وعبدالله الجبوري،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لجنة التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد،١٩٨٦.
- معجم النقد العربي القديم،أ.د.أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط١، ١٩٨٩.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي(ت٦٦٩هـ)، تحقيق:د.فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب،ط٥، ١٩٨٣.
- المنصف لكتاب التصريف،شرح الإمام أبي الفتح بن جنّي(ت٣٩٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٩٩٩.

- المهذّب في علم التصريف، د.هاشم طه شلاش، ود. صلاح مهدي الفرطوسي، ود.عبد الجليل عبيد حسين،بيت الحكمة،بغداد،د.ت.
- نحو القرّاء الكوفيين،خديجة أحمد مفتي، إشراف:د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي،المكتبة الفيصلية،مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٥.
- النشر في القراءات العشر،أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع،جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)،عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني،ط١، ١٣٢٧هـ.

- **الرسائل الجامعية والبحوث المنشورة:**
- البحث الصوتي عند ابن عصفور الأشبيلي، مصطفى حسين مزعل العامري(رسالة ماجستير)،إشراف الأستاذ الدكتور: غالب فاضل المطلبي،الجامعة المستنصرية،كلية التربية،١٩٩٩.
- توالي الأمثال في اللغة العربية(دراسة صرفية صوتية)،لمياء عبدالله عبد الحسن،(رسالة ماجستير)،إشراف الأستاذ الدكتور(هاشم طه شلاش)، جامعة بغداد،كلية التربية(ابن رشد)،٢٠٠٠م.
- الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية من القرن٣هـ حتى القرن٧هـ،(أطروحة دكتوراه)، حسن أحمد مهاوش العزاوي،جامعة بغداد،كلية التربية،٢٠٠٣.
- ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي،دراسة في تفسير روح المعاني للآلوسي، الأستاذة صفية طبني، جامعةمحمد خيضر بسكرة، الجزائر،مجلة المخبر الجزائرية، العدد٨، ٢٠١٢ .
- المشاكلة بين اللغة والبلاغة مع دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، عبد الرحمن عبد القادر العربي(رسالة ماجستير)، إشراف:أ.م.د.حسن يحيى الخفاجي، الجامعة المستنصرية،كلية الآداب،٢٠٠٢م.
- المشاكلة في اللغة العربية (صوتياً وصرفياً)،ماهر خضير هاشم،مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية،مج١٨، ع٣.
- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، محمد رشاد الحمزاوي ،حوليات كلية لآداب،تونس عدد ١٩٧٧/١٤.
- مصطلحات المماثلة ودلالاتها في الفكر الصوتي عند سيبويه،جيلالي بن يشو،جامعة مستغانم،الجزائر،مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب،العددان٩٩و١٠٠، السنة ٢٥، تشرين الأول٢٠٠٥.
- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، يحيى سالم الجبوري(أطروحة دكتوراه)،إشراف الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، الجامعة الإسلامية،كلية اللغة العربية وعلوم القرآن،٢٠٠٤م.